مكتبة البنجد
قسم الدوريات

جامعة قطر

حولية
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

غير مسموح بمغادرته من المكتبة

العدد الحادي عشر
١٤٠٩ هجرية - ١٩٨٨ ميلادية

تكملة الملابس في الشعر الجاهلي

«النِعَال في الشعر الجاهلي»

د. يحيى الجبوري
أستاذ بقسم اللغة العربية

النعل : النعل مؤمثة ، والجمع نعال ، وانتعل الرجل وهو منتعل وناعل [1] ، وإذا قلت منتعل فمعناه لابس نعلا ، وامرأة ناعلة ، وفي المثل : (أطري فانك ناعلة) أراد : أدلي على المشي فانك غليظة القدمين غير محتاجة الى النعلين [2] ، وانتعل لبس نعالا ، يقول الأعشى : ان تريني اليوم حافيا لا انتعل ، فلكم لبست من النعال ولكم أبليت : [3]

إمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لا نِعَالَ لنا ... إنَّا كذلك ما نَحْفَى ونَنْتَعِلُ

ولبس النعال دليل النعمة والترف ، وقد تمدح الناس بلبس النعال الرقيقة ، ومدح النابغة الغساسنة بالرفاهية وعدم سعيهم بأنفسهم فهم مخدومون فلا ينتعلون النعال السميكة لتمنع عن الأرجل أذى الحصى عند المشي ، وانما نعالهم رقيقة تلبس للراحة والزينة : [4]

رقَاقُ النِعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهم ... يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحَانِ يومَ السَّبَاسِبِ
تُحَيِّيهِمُ بِيْضُ الولائِدِ بينَهمْ ... وأكْسِيَةُ الإضْرِيجِ فوقَ المشَاجِبِ

---

(١) المخصص ٤/١١١ ـ ١١٤ ، التلخيص ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣ .
(٢) كتاب الأمثال ـ القاسم بن سلام ص ١١٥ ، مجمع الأمثال ١/٤٣٠ ، اللسان : طرر ، نعل . .
(٣) ديوان الأعشى ص ١٠٩ .
(٤) ديوان النابغة ص ٤٩ .

ويفخر ابن مقبل بأنهم قوم مترفونْ يلبسون الثياب اللينة السابغة التي تغشى نعالهم : [1]

وإنَّـا لنَـزَّالـونَ تَغْـشَىٰ نِعَـالَنَـا سَوابـغُ من أصـنـافِ رَيْطٍ ورَفْـرَفِ

ويفخر بنو الحارث بن سدوس بأنهم لا يرقعون نعالهم ، وإذا نقبت نعالهم يلقونها ولا يلبسون الأخلاق : [2]

ونُـلْقـي الـنِّـعَـالَ إذا نُقِّـبـتْ ولا نستـعـينُ بأخْـلاقِـهَـا
ونـحـن الـذُّوابـةُ من وائـلٍ إلـينـا تمدُّ بأعـناقِـهَـا

ويطلق اسم النعال على الأرض الغليظة ، قال ابن سيده : النعل من الأرض القطعة الصلبة الغليظة شبه الأكمة يبرق حصاها ولا تنبت شيئا ، وقيل : هي قطعة تسيل من الحرة ، قال :[3]

فِدىً لامـرىءٍ والـنَّعْـلُ بيني وبينَـهُ شفَىٰ غَيْمَ نفسي من رؤوسِ الـحَـوَائـرِ

وقال امرؤ القيس يصف قوما منهزمين : [4]

كأنَّهـم حرشَـفٌ مبـثـوثُ بالجَـوِّ إذْ تَبْـرُقُ الـنِّـعَـالُ

ومنه الحديث : (إذا ابتلتْ النِعَالُ فالصلاةُ في الرِّحَالِ) ، قال ابن الأثير : النعال جمع نعل ، وهو ما غلظ من الأرض في صلابة ، وانما خصها بالذكر لأن أدنى بلل يندیها بخلاف الرخوة فانها تنشف الماء [5]

ويكنى باخضرار النعال عن الخصبْ ، قال أوس بن حجر يهجو قوما بأنهم يأشرون إذا أصابهم الغنى والخصب ، ويضجرون إذا كانوا في موضع المخافة : [6]

تَنَـاهـقـونَ إذا اخضرَّتْ نِعَـالُـكـمُ وفي الحـفـيظةِ أبْـرَامٌ مَضَـاجِـيرُ

---

(١) ديوان ابن مقبل ص ١٩٨ .
(٢) البيان والتبيين ١٠٧/٣ .
(٣) اللسان : نعل .
(٤) ديوان امرىء القيس ص ١٩٣ .
(٥) النهاية ٨٢/٥ ، اللسان : نعل .
(٦) ديوان أوس بن حجر ص ٤٥ .

وأنشد الفراء بهذا المعنى : [1]

قومٌ إذا اخضرَّتْ نِعَالُهُمُ يتَنَاهَقُونَ تَنَاهُقَ الحُمُرِ

وقال شاعر يهجو بني غراب : [2]

إذا اخضرَّتْ نِعَالُ بني غُرابٍ بغَوْا ووجَدتَهُمْ أشْرَى لِئَامَا

وقال الشاعر خراشة بن عمرو العبسي : [3]

وأطْوَلُ في دار الحِفَاظِ إقامةً وأوزَنُ أحلاما إذا النَّعْلُ أخْضَلا

واحتذى النعل ، لبسها ، وفي حديث أبي هريرة يصف جعفر بن أبي طالب : (خير من احتذى النعال) [4] ، قال ابن السكيت : استحذاني فأحذيته ، أي أعطيته حذاء ، وقال الأصمعي : حذاء بين الحذو ، ولا يقال بين الحذاء ، انما الحذاء النعل والخف ، وأنشد : [5]

كلَّ الحذاءِ يحتذي الحَافي الوَقِعْ

وقد حذاني نعلا : أعطانيها ، ولا يقال : أحذاني ، انما الاحذاء من العطية ، وفي المثل : (من يَكُ أبوه حَذَّاءً تَجُدْ نَعْلاهُ) [6] ، والحذَّاء : صانع النعال والحذوة والحذاوة : ما يسقط من الجلود حين تبشر وتقطع مما يُرمىٰ به وينفىٰ ، وفي حديث جهاز فاطمة : (أحد فراشيها محشو بحذوة الحذائين) [7]

وترد كلمة (ناعل) مقابلة لكلمة (حاف) الأولى دليل النعمة ، والثانية دليل الفقر ، وكلهم ـ كما تقول الخنساء ـ أمام الموت سواء : [8]

---

(١) اللسان : نعل .
(٢) البيان والتبيين ٣/١٠٦ .
(٣) السابق والصفحة ، وبلوغ الارب ٢/٤١٣ .
(٤) النهاية ١/٣٥٧ .
(٥) المخصص ٤/١١٢ .
(٦) مجمع الأمثال ٢/٣٠١ ، المستقصى ٢/٣٦٤ .
(٧) النهاية ١/٣٥٧ .
(٨) ديوان الخنساء ص ١١٢ .

ألا ليتَ أُمِّـي لم تلِدْني سويةً وكـنـتُ ترابـا بين أيدِي الـقَـوَابـلِ
وخَـرَّتْ على الأرضِ السماءُ فطُبِّقَتْ ومـاتَ جميعـا كُلُّ حَافٍ ونَـاعِـلِ

وقيل : ان أول من لبس النعال هو جذيمة الأبرش بن مالك[1] ، الا أن الكشوف الأثرية أثبتت أن لبس النعال قديم وهو معروف عند الساميين ، ولا يزال منذ القدم حتى اليوم مستعملا ، ويستعمل في البيت وخارجه ، وهو يحمي باطن القدمين من حر الأرض في الصيف ومن الحجارة والمواد المؤذية التي تكون على وجه الأرض ، وقد يستعمل نعلا من خشب ، يستعمله أهل القرى وأهل المدن في البيوت[2] . والعرب تمدح برقة النعال ، وتجعلها من لباس الملوك ، وتقدم النعال على سائر أنواع الأحذية .

ويقول الأحنف بن قيس : « استجيدوا النعال فانها خلاخيل الرجال »[3] ، وقيل : العرب تلهج بذكر النعال ، والفرس تلهج بذكر الخفاف[4] ، وكثر في شعرهم مدح النعال ، وإذا مدح الشاعر النعل بالجودة فانه انما يمدح لابسها ، ولذلك كانوا يتأنقون في صنعها ويجعلونها رقيقة ومخصرة ، ولذلك يمدح قتيبة بن الحارث قوما ويصفهم بأنهم أسياد مترفون لا يخصفون نعالهم ، ولا يلبسون الا السبت ، وتكون النعال مخصرة :[5]

إلى معشرٍ لا يخصفونَ نِعَالَهُمْ ولا يلبسونَ السِّبْتَ ما لم يُخَصَّرِ

وافتن العرب في تزيين النعال وزخرفة جلودها ، فذهبوها ورسموا عليها صورا ، وضغطوا عليها بآلات لابراز الصور عليها ، ومن الجلود المذهبة (المذاهب) وهي جلود كانت تذهب ، تجعل فيها خطوط مذهبة فيرى بعضها في أثر بعض فكأنها متتابعة ، وقيل سيور تموه بالذهب قال ذلك ابن السكيت في شرحه لبيت قيس بن الخطيم :[6]

---

(١) المعارف ص ٢٤١ .
(٢) جواد على ٥٩٢/٧ .
(٣) البيان والتبيين ٨٨/٢
(٤) البيان والتبيين ١٠٦/٣ ، وقد لبس العرب الخفاف في الجاهلية والاسلام ولكني لم أجد لها صدى في الشعر الجاهلي ، وكثر ذكرها في الشعر العباسي خاصة .
(٥) البيان والتبيين ١٠٩/٣ .
(٦) اللسان : ذهب ، جواد على ٥٩٢/٧ .

أتــعــرفُ رَسْــمًا كاطِّــرادِ المــذاهــبِ

وكذلك قول الهذلي يصف الضباع تنزع جلد القتيل ، كما ينزع القين خلل السيوف : [1]

ينــزعْــنَ جلدَ اَلمــرْءِ نَزْ عَ الــقَــيْنِ أخــلاقَ المــذَاهِــبْ

نعـال السِّبْـت :

السِّبْتُ (بالكسر) : كل جلد مدبوغ ، وقيل هو المدبوغ بالقرظ خاصة ، وخص بعضهم به جلود البقر ، مدبوغة كانت أم غير مدبوغة ، ونعال سبتية : لا شعر عليها ، وقال الجوهري : السبت جلود البقر المدبوغة بالقرظ تحذى ، منه النعال السبتية [2] ، وقيل : سميت سبتية لأن شعرها قد سبت عنها ، أي حلق وأزيل بعلاج من الدباغ ، وقال ابن الأعرابي : سميت النعال المدبوغة سبتية لأنها انسبتت بالدباغ ، أي لانت [3] .

وكانت نساء الجاهلية يقمن المناحات ويضربن وجوههن بنعال السبت ، يقول أبو ذؤيب الهذلي : [4]

وقــامَ بنــاتي بالــنِّــعــالِ حَوَاسِراً وألْـصَقْنَ ضَرْبَ السِّبْتِ تحتَ القــلائِــدِ

وترى الخنساء ـ بعد اسلامها ـ أن الصبر خير من اللطم بنعال السبت وحلق الشعر فعل النساء الجاهليات : [5]

ولــكــنِّي وجــدْتُ الــصَّــبْرَ خيراً من الــنَّــعْــلَينِ والــرأسِ الــحَــلِيقِ

ونعال السبت لينة ، وهي لباس الكرام المترفين ، قال عنترة يمدح شخصا بالطول والبطولة والشرف والترف للبسه نعال السبت : [6]

---

(١) اللسان : ذهب .

(٢) الصحاح واللسان : سبت .

(٣) اللسان : سبت .

(٤) ديوان الهذليين ١٢٢/١ ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص ٣١٢ .

(٥) ديوان الخنساء ص ١٠٣ .

(٦) ديوان عنترة ص ٢١٢ .

بَطَلٌ كأنَّ ثيابَـهُ في سَرْحَـةٍ يُحْذَىٰ نِعَـالَ الـسِّـبْـتِ ليس بتـوْأَمِ

ويصف ابن مقبل حمار الوحش وان حافره رقيق كالنعل المصنوعة من السبت التي يلبسها أهل النعمة : [1]

يَقِصُ الأكَـامَ بسُرْطَـمٍ مُتَحَـادِبٍ سَبِط بطَانَـتُـهُ كَسِـبْـتِ الـنَّـابِـلِ

ومدح شاعر آخر قوما ببساطة الأرجل والأقدام فوصف نعالهم بأنها سباط مخصرة : [2]

وكـيف أُرَجِّـي أنْ أسُـودَ عشـيرتي وأُمِّـيَ من سَلْمَـى أبـوهـا وخَـالُهـا
رأيتُـكـمُ سُوْداً جِعَـادا ومـالـكٌ مُخصَّرَةٌ بِيْضٌ سِبَـاطٌ نِعَـالُهَـا

ومدح النجاشي هند بن عاصم بأن نعالهم سبت مدبوغة لا يأكلها الكلب ، لأن الكلب انما يأكل الفطير من النعال : [3]

إذا الـلهُ حَيَّا صالحـاً من عبـادهِ كريما فحَـيَّا اللّـه هنـدَ بن عاصـمِ
وكـلُّ سَلُولِيٍّ إذا ما لَقِـيتَـهُ سريعٌ الى دَاعـي الـنَّـدَى والمكـارمِ
ولا يأكـلُ الـكـلبُ السَّروقُ نِعـالَهُمْ ولا تَنْتَـقي المُـخَّ الـذي في الجَـماجِمِ

قال يونس : كانوا لا يأكلون الأدمغة ، ولا ينتعلون الا السبت .

ويشبه طرفة بن العبد مشافر ناقته الطوال بنعال السبت ، ونعال السبت لينة وانها لم تجرد أي لم يلق الشعر عنها ، فهو أحسن وألين ، وقيل خص السبت اليماني لأنهم ملوك ونعالهم أحسن النعال ، ودباغ اليمن أفضل الدباغ ، يقول طرفة : [4]

وخَـدٍ كقِـرْطَـاسِ الشَّـآمِي ومشفـرٍ كسِـبْـتِ الـيَمَانِي قِدُّهُ لم يُجَرَّدِ

---

(١) ديوان ابن مقبل ص ٢٢٣ .
(٢) البيان والتبيين ٣/١٠٧ .
(٣) البيان والتبيين ٣/١٠٩ ، والمعاني الكبير ص ٤٨٧ .
(٤) ديوان طرفة ص ٢٣ .

ونعال السبت إذا كانت جديدة فهي تصر ، وخاصة الشراكان فهما يصرفان إذا مشى لابسهما ، أي يصران للجدة ، قال أبو خراش : [1]

حَذَاني بعدَما خَذِمَتْ نِعالي ... دُبَيَّةُ إنَّهُ نِعْمَ الخَلِيلُ
بموركتينِ شدَّهما طفيلٍ ... بصَرَّافين عِقْدُهما جميلُ
بمثلِهما يروحُ يُرِيدُ لَهْواً ... ويقضي الهَمَّ ذو الإرب الرَّجِيلُ

ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم النعال ، ووصفت نعاله ، فعن أنس قال : (كانت نعلا النبي صلى الله عليه وسلم لهما قبالان) والقبال : زمام النعل [2] ، ولبس النعال المخصوفة ، قال أبو ذر : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفين من جلود البقر) [3] ، وكان يحتذى نعلا مخصرة ، أي قطع خصراها حتى صارا مستدقين ، وفي الحديث : (أن نعله عليه الصلاة والسلام كانت مخصرة) [4] ، ولبس النعال السبتية ، وهي جلود البقر المدبوغة ، فعن عبيد بن جريج أنه قال لعبد الله بن عمر : (رأيتك تلبس النعال السبتية ، قال : اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال السبتية التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها) [5] .

وكان عليه السلام إذا لبس نعليه بدأ باليمنى ، وإذا خلع خلع اليسرى [6] ، وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى ، وإذا خلع فليبدأ بالشمال ، وقال : لا يمشي أحدكم في نعل واحدة ، ليحفهما جميعا أو لينعلهما جميعا) [7] .

والنعال من لباس الرجال ، وما كانت النساء تلبسها ، قيل لعائشة : هل تلبس

---

(١) المعاني الكبير ص ٤٩٢ .
(٢) الوفا بأحوال المصطفى ٢/٥٧١ .
(٣) الوفاء ٢/٥٧٢ .
(٤) النهاية ٢/٣٧ .
(٥) الوفا ٢/٥٧٢ ، جامع الأصول ١٠/٦٥٤ .
(٦) الوفا ٢/٥٧٢ .
(٧) جامع الأصول ١٠/٦٤٨ ، والحديث في البخاري ١٠/٢٦٣ ومسلم ٢٠٩٧ في اللباس باب استحباب لبس النعل اليمنى أولا ، وانظر النهاية ١/٤١٠ - ٤١١ .

المرأة النعل ، فقالت : لقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجلة من النساء)[1] .

أجـزاء النعـل وصفاتهـا :

وفي النعـل الشراك ، والجمع شُـرُك ، وقد شركت النعل[2] ، والشسع والجمع الشسوع ، والخرب : الثقب الذي يدخل فيه الشسع ، والجمع أخراب ، وقال ابن دريد : الخـرت : الثقب الـذي يدخـل فيه السير من الذؤابة[3] ، واللسان والشباة والأسلة والزناتة ، كل ذلك سواء ، وهو طرفها المحدد .

والزمام : السير المثني الذي يعقد فيه طرف الشسع ، والجمع أزمة ، وهو القبال أيضـا والجمـع قُبُل ، وفي الحـديث : (كان لنعـل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان)[4] ، وقد أقبلت النعل : جعلت له قبالا ، وقيل : القبال الشسع وجاء القبال في شعر هدبة بن الخشرم ، وقد ذهب به لتضرب عنقه فانقطع شسعه فجعل يصلحه ، فقيل له ، أعلى هذه الحال تصلح نعلك ، فقال :[5]

أشـد قبـال نعـلي لا يرانـي عـدوي للحـوادث مسـتكـينـا

وخرثمة النعل : رأسها ، قال ابن دريد : خرثمة النعل وخرثمتها رأسها ، فإذا لم يكن لها خرثمة فهي لسنة وملسنة ، ونعل ملسنة : مدققة اللسان ، والعقر والسعدانة سواء ، وهما عقد الشراك الذي يقع على ظهر القدم ، والذؤابة : ما أسبل من الشسع على وحشي القدم ، والصدر مقدم النعل أمام الخرب ، والجمع صدور ، قال الأعشى :[6]

الـواطئـيـنَ على صُدورِ نِعـالِهـم يمـشـون في الـدَّفْـنِيِّ والأبْـرَادِ

---

(١) جامع الأصول ١٠/٦٥٥ ـ ٦٥٦ ، وأخرجه أبو داود رقم ٤٠٩٩ في اللباس باب لباس النساء .
(٢) انظر في أجزاء النعل وصفاتها المخصص ٤/١١٢ ـ ١١٤ .
(٣) المخصص ٤/١١١ .
(٤) النهاية ٣/٢٥٣ ، التلخيص ص ٢٤١ ، اللسان : قبل .
(٥) شعر هدبة بن الخشرم ص ١٣٦ .
(٦) ديوانه ص ١٨١ ، التلخيص ص ٢٤٢ .

ومنه قول جران العود ، رواه ابن الأعرابي : [1]

الـواطئـيـنَ على صُدورِ نِعـالهِـمْ والـطاعِـنـيـنَ وخـيلهُـمْ تجـري

والعقب : مؤخر الشراك الذي يقع على عقب القدم ، والخصر : ما انخصر من جانبيها ، ونعل مخصرة وتمدح بذلك ، قال دريد بن الصمة : [2]

حَذَا عبـدُ المُـدَانِ لكـم حِذاءً مُخَصَّرَةَ الـصـدورِ على مِثَـالِ

والجدلان : حرفاها عن يمين وشمال ، والجزامة : السير الذي يجزم به الشراكان ، والعضدان : الشراكان اللذان يقعان على ظهر القدم من جانبيها ، والأذنان : حرفاها اللذان يعقد فيهما الشراك من مؤخرها ، والوتدان : الناتئان من الأذنين وسماؤها : ما ولي القدم ، وأرضها : ما ولي الأرض ، والفلقة : من قولهم فلقت الشيء إذا شققته بنصفين ، وكل قطعة فلقة .

والحـذاء : النعـل ، يقال : حذوت النعل حذوا وحذاء ، قال الشاعر : (كل الحذاء يحتذى الحافي الوقع) [3] ، ويقال : ليس عليه حذاء ، أي نعل ، وفي المثل : (جازيتـه حذو النعـل بالنعل) [4] أي بمثل فعله ، وذلك أن النعلين يتشابهان طولا وعرضا وصنعة ، وقال أبو عبيد : حذوت النعل بالنعل : قدرتها عليها ، ومنه قيل : حذو القذة بالقذة [5] .

وأطـرقت النعل اطراقا : اذا أطرقتها بأخرى ، فهي مطرقة ، والاسم الطراق ، وطارقتها أيضا ، وقال المبرد : أطرقت خطأ ، والصواب طارقت ، وليس كما قال ، بل كلاهمـا جيد [6] ، وجـاء في الحديث : (كأن وجوههم المجان المطرقة) [7] ، وكذلك الخف ، وكل شيء كفأت بعضه على بعض فقد أطرقته .

---

(١) ديوان جران العود ص ٤٤ .

(٢) ديوان دريد بن الصمة ص ٩٨ .

(٣) المخصص ١١٢/٤ .

(٤) مجمع الأمثال ١٧٥/١ ، التلخيص ص ٢٤٣ .

(٥) المخصص ١١٢/٤ .

(٦) التلخيص ص ٢٤٤ .

(٧) النهاية ١١٢/٣ ، والتلخيص ص ٢٤٤ ، واللسان : طرق ، جنن .

ونعل أسماط : غير مطرقة ، هكذا قال ابن دريد ، وقال القتبي ، نعل أسماط غير مخصوفة ، وخصف النعل خرزها ولصق بها قطعة أخرى من الجلد لاصلاحها ، قال الأعشى : [1]

قالتْ أرى رجُلاً في كَفِّهِ كَتِفٌ أو يَخْصِفُ النَّعْلَ لَهْفِي أيَّةً صَنَعَا

وفي الحديث : (وهو قاعد يخصف نعله) أي كان يخرزها ، من الخصف : الضم والجمع [2] ، ومنه الحديث في ذكر علي : (خاصف النعل) [3] ، قال أبو عبيد : إذا كانت غير مخصوفة قيل : نعل أسماط ، والسميط نعل لا رقعة فيها ، قال الأسود بن يعفر : [4]

فأبلغ بني سعد بن عجل بأننا حذوناهم نعل المثال سميطا

وقالت ليلى الأخيلية : [5]

شُمُّ العَرَانِين أسْماطٌ نِعَالُهُمُ بِيضُ السَّرَابِيلِ لم يَعْلَقْ بها الغَمَرُ

وقال الشاعر يمدح قوما : [6]

وجدتُ بني خَفَاجةَ في عَقِيلٍ كرامَ الناسِ مُسْمَطَةَ النِعالِ

وفي حديث أبي سليط : (رأيت على النبي صلى الله عليه وسلم نعل أسماط) وهو جمع سميط [7]

وإذا كانت النعل لا شعر عليها سميت جرداء ، ومنه حديث أنس : (أنه أخرج

---

(١) ديوان الأعشى ص ١٥٣ .

(٢) النهاية ٢/٣٨ .

(٣) النهاية ٢/٣٨ .

(٤) المخصص ٤/١١٣ ، اللسان : سمط .

(٥) اللسان : سمط .

(٦) المعاني الكبير ص ٤٨٨ .

(٧) النهاية ٢/٤٠١ .

نعلين جرداوين فقال : هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي لاشعر عليهما [1] .

ويقال : خصفت النعل خصفا ، واسم ما يخصف به المخصف وهو المثقب ، قال أبو كبير الهذلي يصف عقابا : [2]

حتى انتهيت الى فراشِ عزيزةٍ فَتَخَاءَ رَوْثَةُ أنفِها كالمِخْصَفِ

والمسرد والسراد : الاشفا ، وهو المثقب أو المخرز ، والسراد : وأحدها مسرد ، والمسرد : الحديدة ، والسرد : الخرز ، والسرادة : القدة التي يخرز بها ، قال لبيد يصف الثور وهو يطعن كلاب الصيد فيخرق بقرنيه صفاح الكلاب كأنه السراد يثقب الرقاع : [3]

يَشُكُّ صِفَاحَهَا بالرَّوْقِ شَزْراً كما خَرَجَ السِّرَادُ من النِّقَالِ

والنقال : الرقاع ، واحدها نقيلة ، وقيل : النقال واحدها نقل ، وهو النعل الخلق ترقع فتخرز ، والنقائل : جمع نقيلة وهي رقاع الخف ، قال لبيد : [4]

فعَدَّيْتُهَا فيه تُبَارِي زِمَامَهَا تُنَازِعُ أطْرَافَ الإكَامِ النَّقَائِلا

والشسع : قبال النعل ، وتشسعت النعل إذا انقطع شسعها وهو قبالها الذي يشد الى زمامها ، قال لبيد في هجاء رجل أخرق : [5]

وكان شَيْخاً باهلِيًّا أضْلَعَا
لا يُحْسِنُ النَّعْلَ إذا تَشَسَّعَا

والقِبَال : والجمع قُبُل ، فلان مقابل النعلين ، إذا كان لنعليه قبالان ، روى

---

(١) النهاية ١/٢٥٦ .

(٢) اللسان : خصف ، وعجز البيت في المخصص ٤/١١٣ .

(٣) ديوان لبيد ص ٧٩ .

(٤) ديوانه ص ٢٣٣ .

(٥) ديوانه ص ٣٣٩ .

الأصمعي عن الحارث بن مطرف ، قالِ : استب حجل ومعاوية بن شكل عند بعض الملوك ، فقال حجل : (هذا مُقَابَلُ النَّعْلَين ، قَعْوُ الأُلْيَتَيْنْ ، مُفجُّ الساقين ، مَشَّاءٌ بأَقْراءٍ ، قَتَّالُ ظِباءٍ ، تَبَّاعُ إمَاءٍ) فقال الملك : أردت أن تذمه فمدحته [1] . ويكنى الحطيئة عن الأزمة والحاجة بزلة قبال النعل : [2]

لم تَرَ عيني مثلَ عُروةَ خُلَّةً ومولَى إذا ما النَّعْلُ زَلَّ قِبَالُها

وقد شهرت صناعة النعال وافتنوا بصنعها ، وتميزت بعض المدن بجودة هذه الصناعة مثل حضرموت ، ونسبت اليها النعال الحضرمية ، كما في حديث مصعب بن عمير : (أنه كان يمشي في الحَضْرميّ) هو النعل المنسوبة الى حضرموت المتخذة بها [3] .

ولم تقتصر النعال على الانسان فقط ، بل قد تنعل الحيوانات أيضا ذوات الخف والحافر ، حماية لها من الحفى ، والنعل طبق من حديد أو جلد يوقى به الحافر أو الخف ، فيكون له كالنعل للقدم ، والنعل للناقة كالحدوة للحصان ، يقول الأعشى ذاكرا ناقته وقد أعياها السفر : [4]

ذاكَ شَبَّنهْتُ ناقَتي عن يَمِين الـ ـرَّعْن بعد الكَلَال والإعْمَالِ
وتَراها تَشْكُو إليَّ وقد آ لَتْ طَليحاً تُحْذَى صُدُورَ النِّعَالِ
نَقَبَ الخُفِّ للسُّرَى فتَرَى الأنْـ ـسَاعَ من حِلِّ ساعَةٍ وارْتِحَالِ
لا تَشَكَّيْ إليَّ من أَلمِ النِّسْـ ـعِ ولا من حَفَاً ولا من كَلَالِ

ويذكر النابغة جياد الغساسنة وأنها منعلة تقي النعال حوافرها من ورم السنابك : [5]

تأتي الجِيَادَ من الجَوْلانِ قائظَةً من بين مُنْعَلَةٍ تُزْجَى ومَجْنُوبِ

---

(١) الأصمعيات ص ١٣٨ .
(٢) ديوان الحطيئة ص ١٣٥ .
(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٤٠٠ .
(٤) ديوان الأعشى ص ٥٧ .
(٥) ديوان النابغة ص ٥١ .

ويقول أيضا : [1]

مَخافَةَ عَمْرٍو أن تكونَ جِيادُهُ يُقَدْنَ إلينا بينَ حَافٍ ونَاعِلِ

ويصف عبدة بن الطبيب الابل وقد أنهكها السير فحفيت ، فهم يدلكون أخفافها بالسمن والبعر ويلبسونها النعال فتتحامل وتواصل السير : [2]

ثم ارتَحَلْنَا على عِيْسٍ مُخَدَّمَةٍ يُزْجِي رَوَاكِعَها مَرْنٌ وتَنْعِيلُ

ويجعل لبيد لناقته نعالا ثم يمضي بها يقطع الفلوات الواسعة عند اشتداد الحر : [3]

ونَاجيةٍ أنْعَلْتُها وابْتَذَلْتُهَا إذا ما اسْجَهَزَّ الآلُ في كلِّ سَبْسَبِ

ويعبر عبيد بن الأبرص بنقب صدور النعال عن كثرة السفر فتنقب لذلك النعال : [4]

لم تكنْ غزوةُ الجيادِ ولم يَنْـ ـقَبْ بآثارِها صُدُورُ النِّعَالِ

وخص نعل الناقة باسم السريح ، جمع سريحة ، وجاءت في الشعر كثيرا ، من ذلك قول ابن مقبل يصف المومأة المهلكة التي تقطعها الابل وقد تشققت نعالها وتمزقت من شدة السير وأصبحت قطعا كسيور الجلد ، منها ما بقي في باطن أخفاف الابل ، ومنها ما سقط في المومأة ، يكون للجن سكان هذه الصحراء : [5]

فأصبحَ بالمَوْمَاةِ رُصْعَاً سَرِيحُهَا فللإنسِ باقِيهِ وللجِنِّ نَادِرُهْ

ويتكرر ذكر السريح في شعر ابن مقبل : [6]

فَرُحْنَا تُرَاكِلُ أيديهِمَا سَرِيحاً تَخَرَّقَ بَعْدَ المُرُنْ

---

(١) ديوان النابغة ص ١٩٩ .

(٢) شعر عبدة بن الطبيب ص ٧٤ .

(٣) ديوان لبيد ص ١٨ .

(٤) ديوان عبيد ص ١١٥ .

(٥) ديوان ابن مقبل ص ١٥٧ .

(٦) ديوانه ص ٢٩٤ .

وكذلك يقول : (ونحذوها السَّريحَ إذا وَجِيْنَا)[1] ، وفي شعر الحطيئة : (يُشَدُّ لها السَّرائحُ والنُّقُولُ)[2] .

ويكون مع السريح خدام تشد الى أرساغ الابل فيكون عندئذ سريحا مخدما كما يقول الطفيل الغنوي :[3]

وربِّ الـتي أشْرَقْـنَ في كل مِذْنَـبٍ سَوَاهِـمَ خُوصَـاً في السَّرِيحِ المُخَـدَّمِ

والتخـديم : أن تنقـطع نعال الابل لطول السفر فتشد الخدام الى أرساغ الابل لتثبيت النعال ، يقول جران العود :[4]

يَحْدو أوائِـلَهَـا رُحٌّ يمَانِـيَةٌ قد شَاعَ فيهـنَّ تَخْذِيمٌ وتَـنْـعِـيلُ

ويقول زهير في وصف ناقته :[5]

تَهْوِي على زَبِـذَاتٍ غيرِ فاتـرةٍ تُحْذَىٰ وتُـعْـقَـدُ في أرْسَـاغِهـا الخَـدَمُ

وجمع الخدمة خدام ، وقد استعملها لبيد بهذا الجمع :[6]

وإذا تَغَـالَىٰ لَحْمُـهَـا وتَحَسَّرَتْ وتـقـطَّعَـتْ بعـدَ الكَـلَالِ خِدامُهـا

ويكثر ذكر النعال وما يتعلق بها للابل في الشعر الجاهلي والاسلامي ، دلالة على كثرة الأسفار وقطع الفيافي وتجشم الصعاب حتى تنقطع النعال ويستبدلونها بنعال غيرها .

ومن الصور الشعرية المستخدمة في الشعر الجاهلي وما بعده جعل ظلال أيدي الابل

---

(١) ديوان الحطيئة ص ٢٠٩ .

(٢) ديوانه ص ٣١٣ .

(٣) ديوان الطفيل الغنوي ص ٧٣ .

(٤) ديوان جران العود ص ٥٧ ، رح : واسعة الخطى .

(٥) ديوان زهير ص ١٥٦ .

(٦) ديوان لبيد ص ٣٠٤ .

نعالا لها ، وذلك يكون في الهاجرة حين يكون ظل كل شيء تحته ، يقول جران العود : [1]

تَخْدِي بهم رُجُفُ الأَلْحِي مُلَيَّثَةٌ أظلالُهُنَّ لأيديهنَّ تنعيلُ

ويقول المرار الفقعسي ان الابل تنعل أظلالها : [2]

إلى أنْ تَنَعَّلَ أظْلالَهَا ولم يَعْلُ أظْلالَهَا بالحِذَاءِ

وجعل شاعر آخر الظل جوربا : [3]

وانتقلَ الظِلُّ فصار جَوْرَبَا

كنايات وأمثال :

واستمدوا من النعل والحذاء بعض الصيغ واللوازم المجازية ، فقد جاءت في أساليبهم صيغة (زلت النعل) كناية عن الافتقار وسوء الحال والوقوع في الخطأ والزلل ، تقول الخنساء إن صخرا كان عصمة لمن زلت به النعل ، جابراً لعثرات مولاه : [4]

ولَهفي على صَخْرٍ لقد كان عِصْمةً لمولاهُ إنْ نَعْلٌ بمولاهُ زَلَّتْ
يعودُ على مولاهُ منه برأفةٍ إذا ما الموالي من أخيها تَخَلَّتِ

وتجيء عبارة (زلت به النعلان) في شعر عمرو بن معد يكرب كذلك : [5]

بأمرِ الحَزْمِ تعملُه وتأتيهِ وتعتَمِدُهْ
كمَنْ زَلَّتْ به النَّعْلا نِ فانْدَقَّتْ به عَضُدُهْ

---

(١) ديوان جران العود ص ٣٦ .
(٢) الوحشيات ص ٥٤ .
(٣) ديوان جران العود ص ٣٦ .
(٤) ديوان الخنساء ص ١٨ .
(٥) شعر عمرو بن معد يكرب ص ٧٦ .

وفي شعر الطفيل الغنوي كنى عن العثرة بزلة النعل : [1]

جَزَى اللهُ عَنَّـا جَعْفَـراً حين أزْلَقَتْ بنـا نَعْـلُنَـا في الـواطِئِـينَ فزَلَّـتِ
هم خَلَطُونَـا بالـنُّـفُـوسِ وأجْـأُوا إلى حجـراتٍ أدْفَـأَتْ وأظَـلَّـتِ

وقـد تمثـل بهذا الشعـر أبو بكر الصديق في يوم السقيفة مخاطبا الأنصار قائلا : « فنحن وأنتم كما قال الغنوي . . الأبيات » [2] ، وكذلك ترد في شعر أبي الخطار الكلبي (زلت بالقدم النعل) : [3]

فلا تَعْـجَـلُوا إنْ دَارَتِ الحـربُ دَوْرَةً وزَلَّتْ عن الـمَـوْطَـاةِ بالقَـدَمِ النَّعْـلُ

ويكنى الحطيئة عن الأزمة والحاجة بزلة قبال النعل : [4]

لم تَرَ عَيْني مِثْـلَ عُرْوَةَ خُلَّةً ومَـوْلَى إذا ما الـنَّـعْـلُ زَلَّ قِبَـالُهـا

ويكنى الأعشى عن كثرة العطاء واسباغ النعمة بتثبيت النعل والقبال : [5]

ولقـد نزلتُ بخـيرِ من وَطِىءَ الحَصَى قَيْسٍ فأثْـبَـتَ نَعْـلَهـا وقِـبَـالَهـا

وترد في أساليبهم (حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ) كناية عن التماثل والتشابه ، وقد جاء في الحديث : (لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ من كان قَبْلَكم حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ) [6] : أي تعملون مثل أعمالهم كما تقطع احدى النعلين على قدر النعل الأخرى ، والحذو : التقدير والقطع [7] .

---

(١) ديوان الطفيل الغنوي ص ٩٨ .
(٢) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص ١٤٠ .
(٣) الوحشيات ص ٤٣ .
(٤) ديوان الحطيئة ص ١٣٥ .
(٥) ديوان الأعشى ص ٧٩ .
(٦) النهاية ١/٣٥٧ .
(٧) السابق نفسه ١/٣٥٧ .

ويكنون عن الخصب والنعمة باخضرار النعال ، وعند الخصب يصيب بعضهم الأشر والبطر كما يعبر عن ذلك أوس بن حجر : [1]

تَنَاهَقُونَ إذا اخضرَّتْ نِعَالُهُمُ وفي الحفيظةِ أبْرَامٌ مَضَاجِيرُ

وقول الآخر : [2]

قومٌ إذا اخضرَّتْ نِعَالُهُمُ يَتَنَاهَقُونَ تَنَاهُقَ الحُمْرِ

ويكنون عن الترف والنعمة واليسار برقة النعال ، كما في قول النابغة يصف الغساسنة : [3]

رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهم يُحَيَّوْنَ بالرَّيْحَانِ يومَ السَّبَاسبِ

وحين يميزون شخصا ويفضلونه على من سواه يقولون : (خير من احتذى النعال) كما قال أبو هريرة حين وصف جعفر بن أبي طالب [4] ، ويصفون المتنعم المترف بأنه (ناعل) والفقير المدقع بأنه (حاف) ، والناس جميعا بين حاف وناعل كما تقول الخنساء : (ومات جميعا كلُّ حَافٍ وناعلِ) [5]

ويطلقون كلمة (النعل) أحيانا على الرجل الذليل ، يقول القلاخ السعدي : [6]

ولم أكنْ دارجةً ونَعْلا

ومعذرة للزوجات فقد تكنى العرب عن المرأة بالنعل ، قال ابن برى : يقال لزوجة الرجل هي نعلة ونعلته ، وأنشد للراجز : [7]

---

(١) ديوان أوس بن حجر ص ٤٥ .

(٢) اللسان : نعل .

(٣) ديوان النابغة ص ٤٩ .

(٤) النهاية ١/٣٥٧ .

(٥) ديوان الخنساء ص ١١٢ .

(٦) التهذيب واللسان : نعل . ويروى : شر عبيد حسبا وأصلا دارجة موطوءة ونعلا

(٧) اللسان : نعل .

شَرُّ قرينٍ للكبيرِ نَعْلَتُهْ تُوْلِغُ كَلْبَاً سُوءْرَهُ أو تَكْفِتُهْ

وقد نظروا في هذا من تشبيه المرأة بالأرض ، فالأرض نعل ومن ذلك الحديث : (إذا ابتلتْ النعالُ فالصلاةُ في الرِّحَالِ) قال ابن الأثير : النعال جمع نعل وهو ما غلظ من الأرض في صلابة وانما خصها بالذكر لأن أدنى بلل يندیها بخلاف الرخوة فانها تنشف الماء [1] .

ويعبرون عن الفروسية بالوطء على صدور النعال ، لأن الفارس يطأ على صدر قدمه في الركاب ، يقول الأعشى مفتخرا : [2]

الواطئينَ على صُدورِ نِعَالهمْ يمشُونَ في الدَّفَنِيِّ والأبْرَادِ

ويعزز ذلك قول جران العود : [3]

الواطئينَ على صُدُورِ نِعَالِهم والطاعنينَ وخيلهُمْ تَجْري

وجاءت بعض أمثالهم مستفيدة من النعل ، منها المثل : (أطري فانك ناعلة) قال الأصمعي : أي اركب الأمر الشديد فانك قوي عليه ، قال : وأصل هذا أن رجلا قال لراعية له وكانت ترعى في السهولة وتترك الحزونة (أطري) أي خذي طرر الوادي وهي نواحيه (فانك ناعلة) اي فان عليك نعلين ، قال أبو عبيد : أحسبه يعني بالنعلين غلظ جلد قدميها [4] ، ومن أمثالهم أيضا : (من يكن أبوه حذاء تجد نعلاه) [5] أي من يكن ذا جد يبن ذلك عليه .

كانت النعال تصنع من جلود الحيوان ، والنعال الجيدة المعروفة بنعال السبت تصنع

---

(١) النهاية ٥/٨٢ واللسان : نعل .

(٢) ديوان الأعشى ص ١٨١ .

(٣) ديوان جران العود ص ٤٤ .

(٤) أمثال أبي عبيد ص ١١٥ ، مجمع الأمثال ١/٤٣٠ ، اللسان : طرر .

(٥) مجمع الأمثال ٢/٣٠١ ، المستقصى ٢/٣٦٤ ، اللسان : نعل .

من جلد البقر ، وقد تصنع النعال من أي جلد حتى من جلد الضبع كما يتندر أبو المقدام (جساس بن قطب) في قوله : [1]

يا ليتَ لي نعلين من جلد الضَّبُعْ
وشُرُكاً من اسْتِها لا تنقطِعْ
كُلَّ الحذاءِ يحتذى الحافي الوَقِعْ

قال : فهذا كلام محتاج والمحتاج يتجوز .

(١) البيان والتبيين ٣/١٠٩ والشطر الثالث في المخصص ٤/١١٢ .